٣ آخر الفراعنة !

امتاز عهد لامبسون عن غيره من المندوبين الساميين بحقيقتين :

الأولى : تغير الوزارات بسرعة .

خلال ١٢ سنة أمضاها لامبسون فى مصر – من ١٩٣٤ حتى ١٩٤٦ – شكلت ١٨ وزارة . . أى أن عمر الوزارة المصرية لم يزد على ٨ شهور – فى المتوسط – وبعدها تنشأ أزمة وزارية فيضطر رئيس الوزراء إلى الاستقالة لإعادة تشكيل الوزارة مرة أخرى . . أو يجىء رئيس وزراء جديد .

إننا نجد الوزارة وقد شكلت ٢٣ مرة فى عهد أحمد فؤاد و ٢٤ مرة فى عهد فاروق . . مع أن الوزارة يجب أن تتغير مع انتخابات البرلمان التى يفترض أن تجرى مرة كل ٥ سنوات .

وإذا كان تغيير وتعاقب الوزارات بسرعة هو الظاهرة الأولى فى عهد لامبسون . . فإن الظاهرة الثانية هى أنه أول مندوب سام رأى أن يتفاهم مع الوفد .

كان كل مندوب سام – كما رأينا – يقهر الملك . أو يقهر الوفد . . أو يقهر الاثنين معا . . ويحاول أن يوجد طبقة من المعتدلين – أو المتعاونين – تحكم مصر .

وكان فشل كرومر فى أن يجعل سعد زغلول زعيماً للمعتدلين . إذ انطلق سعد يقود الثورة ويحاول تغيير وجه التاريخ المصرى . دافعا لغيره من المندوبين الساميين للاستعانة بحكومات لا تمثل الشعب . . وإن كانت – فى بعض الأحيان – تعبر عن اتجاه قوى بين المثقفين الذين ضاقوا بتصرفات الوفد .

حاول لامبسون فى أول الأمر أن يلعب لعبة التوفيق بين القصر والوفد . . ولكنه لم ينجح . .

ولذلك رأى - على العكس من غيره - أنه بدلا من أن يحارب الوفد لحساب الملك . . أن ينضم للوفد فى محاربته للقصر . ولكن لحساب بريطانيا . . لا لحساب الشعب المصرى !

. . وكان حول فاروق سياسيون انفصلوا عن الوفد . فظلوا طول حياتهم يشنون الحملات الضارية عليه .

وكان حول فاروق عدد من الإيطاليين . . ولابد من استبعاد هذه العناصر . لأن إيطاليا دخلت الحرب ضد بريطانيا .

ومن هنا انضم لامبسون للوفد . . وإن حرص فى نفس الوقت على أن يبقى صلة طيبة مع الأحزاب الأخرى . . ويرحب بكل انقلاب ضد الوفد مادامت حكومات الأقليات لا تعارض بريطانيا .

وكانت خطة لامبسون جديدة وجريئة أيضاً بالنسبة للسياسة البريطانية . وساعده عليها أن الذين حول فاروق . . لم ينسوا أبداً الجموع الحاشدة فى قصر عابدين أثناء وزارة سعد زغلول . . وسعد يجتمع بالملك أحمد فؤاد . . والشعب يهتف : سعد أو الثورة .

* * *

. . كيف نجح لامبسون فى خطته ؟

أو كيف كان طريقه إليها ؟ . .

لا يمكن أن ننظر إلى السير مايلز لامبسون بمقاييس الموظف البريطانى العادى . أو الدبلوماسى التقليدى برغم أنه أمضى كل مدة خدمته - ٣١ سنة - يعمل فى وزارة الخارجية .

. . التحق بهذه الوزارة وعمره ٢٣ سنة .

وتقلب بين سفارات بريطانيا فى طوكيو وصوفيا وسيبيريا . . وأخيراً استقر به المطاف فى بكين .

وفى الصين عاش ٧ سنوات كاملة ممثلا لبريطانيا ليشهد الأحداث التى غيرت بعد ذلك مصير الصين .

. . اشترك فى المفاوضات الطويلة بين بريطانيا والصين حول الأراضى الصينية المؤجرة لبريطانيا . . وحقوق الامتداد الإقليمى البريطانى فى الصين . .

ورأى الصين تشكو إلى عصبة الأمم وتطلب تدخل أمريكا . . وكانت هذه بداية النظرة

الأمريكية الجديدة . . إلى الشرق الأقصى !

وفى ذلك العهد هاجمت اليابان منشوريا . . وبدأت الخلافات الصينية اليابانية التى استمرت أكثر من نصف قرن .

* * *

. . كان لامبسون فى الصين يوم قامت الثورة فى «كانتون» ضد شيانج كاى شيك . . واستطاع الثوار الاستيلاء على «كانتون» كلها فى ساعتين . . وتدخّل حلفاؤهم بقواتهم فى حرب وحشية ضد الثوار استمرت ٣ أيام . . أعلن بعدها الانتصار على الثوار . . وكان لامبسون من مشجعى تدخل بريطانيا وحلفائها لمصلحة شيانج كاى شيك !

* * *

ورأى لامبسون مولد الجيش الشيوعى الصينى . . والزحف الطويل الذى قاده ماوتسى تونج .

وجال لامبسون فى كل مدن الصين الكبيرة ، وكان يبعث – من كل مدينة برسالة طويلة إلى وزارة الخارجية البريطانية . . وقد أذيعت نصوص الرسائل بعد المدة القانونية . . وكلها تكشف أن مايلز لامبسون يحاول باستمرار أن يرسم لحكومته صورة كاملة للموقف من جميع نواحيه

. . ومن المؤكد أن الرجل نجح فى الصين ، فدامت الأحوال لبريطانيا هناك . . حتى أن السير أوستن تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا لم يتمالك نفسه مرة فبعث إليه ببرقية من كلمتين :

« برافو . . لامبسون » .

وسئل عنه تشمبرلين فقال :

– هذا رجل ! .

* * *

ولكن لامبسون فى الصين ، لم يفطن إلى أهمية التيارات السياسية الجديدة ، والوعى الشعبى . . والنضج السياسى للهيئات والجماعات . . فضاعت الصين من بريطانيا إلى الأبد خلال السنوات السبع التى عاشها لامبسون هناك . .

. . ثبتت أسباب ومظاهر «الضياع» أثناء وجود لامبسون فى الصين . . إلا أنها لم تطف على السطح . . إلا بعد ذلك بسنوات .

* * *

وإذا كانت تجربة الصين قد أفادت لامبسون إلا أنه عانى من عقدة ضخمة هناك .

. . لقد نجح فى أن يجعل الصين وبريطانيا توقعان معاهدة لتسوية الخلافات بينهما ، وهذه العقدة . . عقدة النجاح هى التى جعلته يحرص - بعد وصوله إلى مصر - على أن يجمع بين مصر وبريطانيا فى معاهدة ١٩٣٦ .

. . تعلم لامبسون فى الصين شيئين : أحدهما سياسى . والآخر شخصى . .

الأول : أن يتدخل باستمرار لقمع التيار الشعبى أو شرائه بكل الطرق .

والثانى : أهمية الطعام الصينى بالنسبة للصحة . ولذلك جاء معه - من الصين - بطباخ خاص ! !

وبكل هذا الحصاد الضخم . . يصل لامبسون إلى مصر . .

. . رجل ضخم الجثة فى الرابعة والخمسين من عمره . . ماتت زوجته فى الصين ، ويلتقى فى مصر بشابة إيطالية حسناء تجىء مع ابنة شقيقه . . وتنزل فى دار السفارة . . وتتكرر القصة الخالدة . . كلام . . فسلام . . فحب . . وزواج فى لندن وشهر عسل يمتد ١٢ سنة فى القاهرة !

ويكون فارق السن بين الزوجين ٣٥ عاماً .

. . وتصبح هذه الزوجة الشابة الحسناء إحدى « عقد » لامبسون أيضاً ، فهى بريطانية الجنسية . . ولدت فى سيلان ، ولكن أباها إيطالى من خبراء طب المناطق الحارة الذين تعاونوا مع الجيش فى حرب الحبشة .

. . إن لامبسون يريد أن يبر الزوجة الشابة بنفوذه . . وفى نفس الوقت . لا يريد أن يرتفع صوت ضد زوجته - إيطالية الأصل ولذلك يفرط فى المطالبة باتخاذ إجراءات ضد الإيطاليين فى مصر . . أثناء الحرب !

ولا يمكن أن نحكم على موقف لامبسون فى مصر إلا إذا تعقبناه فى خطواته منذ اللحظة الأولى التى وصل فيها . . وعرضنا للظروف السياسية فى مصر والعالم فى تلك الأيام .

. . وصل السير مايلز لامبسون إلى مصر يوم ٧ يناير عام ١٩٣٤ . . كان هتلر قد تولى الحكم فى ألمانيا .

وكان موسولينى يفكر فى الطريق إلى الحبشة فى قلب أفريقيا . . ويدخل الحبشة فعلا . . بعد عام .

وكان العالم كله يخرج من الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى هزته . . ويتطلع إلى عهد جديد أطلق عليه فترة السلام بين حربين فإن نذر الحرب العالمية الثانية كانت فى الأفق ونشبت بعد ذلك بخمس سنوات .

وكان موقف مصر . . مؤثراً فى هذه الحرب . . فهى قلب الطريق بين بريطانيا والهند . . وبين بريطانيا وأكبر مصدر للبترول فى المنطقة . . الخليج !

. . ومنذ اللحظة الأولى حددت المهمة الأولى للامبسون فى القاهرة . . أن يضمن ولاء مصر أيام الحرب . . وأن يؤمن مؤخرة القوات البريطانية التى ستحارب فى الصحراء الغربية . . فى ليبيا . . وفى شمال أفريقيا كلها .

ومن سوء الحظ أن أحداً من زعماء مصر لم يفطن إلى تلك الحقيقة . . فى ذلك الحين !

* * *

وصل لامبسون من الصين بطريق البحر . .

وعندما دخلت السفينة – التى يستقلها - المياه المصرية ظلت ٧ قاذفات للقنابل تحلق فوق السفينة ١٥ دقيقة .

وعلى رصيف ميناء بورسعيد كان محافظ المدينة ينتظره . . وحرس شرف يتألف من ٢٠٠ جندى بريطانى .

ومن الميناء إلى المدينة اصطف جنود البوليس على جانبى الطريق . . وتقدمت موكبه سيارتان . . وأحاط به راكبو الموتوسيكلات من كونستبلات البوليس .

وذهل مايلز لامبسون من روعة الاستقبال حتى أنه كتب فى مذكراته يقارن بين روعة استقباله فى مصر . . وبساطة المعاملة فى الصين !

وبرغم هذه الكلمات التى خطها فى مذكراته فإنه أحب هذاالاستقبال الرائع وتمسك به طوال وجوده فى مصر .

* * *

. . من بورسعيد أقله إلى القاهرة قطار خاص .

وفى محطة السكة الحديد . . وجد على الرصيف – رصيف المحطة – رئيس وزراء مصر عبد الفتاح يحيى باشا . . وهو فى نفس الوقت وزير الخارجية . . ثم كبير أمناء الملك . . ومحافظ القاهرة وعشرات من المسئولين .

واستغرق الاستقبال نصف ساعة وانتهى بحرس شرف !

* * *

والتقاليد السائدة فى ذلك الحين . . أن يكون وزير خارجية مصر فى استقبال المندوب السامى . . ولكن المندوب السامى يجب أن يقوم بالزيارة الأولى لرئيس الوزراء .

وحدثت أزمة « بروتوكول » فى اليوم الثالث لوصول لامبسون .

. . المندوب السامى يرفض أن يقوم بالزيارة الأولى لرئيس وزراء مصر . . ويقول إن عبد الفتاح يحيى باشا يجب أن يزورنى أولا بصفته وزيراً للخارجية !

ويرد يحيى باشا بأنه كان فى استقبال لامبسون فى محطة سكة حديد القاهرة بصفته رئيسا للوزارة ووزيراً للخارجية فى نفس الوقت ويجب على السفير أن يرد لى الزيارة فى مقر رئاسة مجلس الوزراء .

ويتعقد الموقف نتيجة لإصرار كل من المندوب السامى ورئيس الوزراء على موقفيهما . ولكن الملك فؤاد لا ينتظر .

إنه يستقبل المندوب السامى فى اليوم التالى لوصوله !

ويؤجل لامبسون زيارة رئيس الوزراء خمسة أسابيع يسافر خلالها إلى لندن للتشاور .

وعندما يعود يزوره رئيس الوزراء عبد الفتاح يحيى . . ويرد له لامبسون الزيارة بعد نصف ساعة .

ولقد بقيت تقاليد استقبال لامبسون كما هى طوال الـ ١٢ عاماً .

يفتح له الباب المنكى فى محطة السكة الحديد .

وتفرش له البسط الحمراء فى أى مكان يحل به .

وعندما تنتقل الحكومة فى الصيف إلى الإسكندرية فإن اثنين فقط يسافران بقطار خاص . . أحدهما الملك والثانى السير مايلز لامبسون . . بل إنه لا يسافر - فى أى وقت إلى الإسكندرية . . إلا بقطار خاص !

* * *

وتصل درجة الترحيب بالمندوب السامى إلى مستوى غير معقول .

إنه حريص على أن يزور كل مكان فى مصر . . الصحراء . . الواحات . . الصعيد . . إلخ .

. . وصل يوماً بالطائرة إلى الواحة البحرية فوجد المحافظ – المدير – فى انتظاره . .

وكان مقرراً أن يسافر لامبسون - فى الصباح التالى – إلى الواحة الداخلة فطلب من المحافظ أن يطير معه . . ولكن المحافظ أصر على أن يستقل السيارة ليلا . . ليكون فى انتظار لامبسون مع شروق الشمس . . وليطمئن إلى أن كل الاستعدادات قد استكملت لراحة الضيف الكبير .

وعرف أهالى الصحراء أن الرجل يعادل الملك نفوذاً – إن لم يفقه - فتقدموا إليه بالعرائض يطلبون إقامة مدرسة فى الواحات !

* * *

وينطلق لامبسون إلى تحقيق أهدافه واحداً وراء الآخر . .

فى أول لقاء له مع عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزراء . . والوثيقة البريطانية هى المصدر وتاريخها ١٩ فبراير ١٩٣٤ . . أى بعد ٤٠ يوماً تقريبا من وصوله . . يطلب لامبسون أن يسافر ولى العهد الأمير فاروق إلى إنجلترا ليتلقى تعليمه هناك .

يرد رئيس الوزراء قائلا :

– اللغة هى العقبة . فؤاد تعلم اللغة الإيطالية فى صباه ولذلك لم يتقن اللغة التركية . . وجلالته مصمم على أن يتعلم ولده . . هذه اللغة . . التركية !

والسؤال هو : كيف يتقن الأمير اللغة التركية فى لندن .

يقول لامبسون :

– هذه المشكلة يمكن حلها إذا تمت الموافقة على سفر الأمير إلى لندن . ويلح :

– إن ولى العهد يجب أن يسافر فوراً إلى لندن ، ولا ينتظر حتى يبلغ السادسة عشرة من عمره كما يرجو الملك .

. . ومعنى هذا الحديث أن كل ما يطلبه الملك ، من السفير البريطانى ، تأجيل إرسال ولى عهده إلى لندن عامين !

ومن هذه النقطة نستطيع أن نعرف طبيعة العلاقة بين المندوب السامى من ناحية ، وبينه وبين الملك وولى العهد ، ورئيس الوزراء من ناحية أخرى .

من هذه البداية نعرف . . من كان يحكم مصر؟ !

* * *

وتفاصيل اللقاء الأول بين لامبسون والمسئولين المصريين تكشف طريقة المندوب السامى فى التصرف .

. . كيف ينطلق إلى هدفه . . وأسلوبه إلى ذلك . . ورد فعل الآخرين .

أول لقاء بين لامبسون وفاروق يتم بعد ٦ أسابيع من وصول المندوب السامى .

يكتب لامبسون إلى حكومته يوم ٢٣ فبراير ١٩٣٤ قائلا :

« فاروق طفل لم يدلل . . بدا لى أكبر من سنه » !

وكان فاروق يومها فى الرابعة عشرة من عمره .

. . . ويسافر فاروق إلى لندن . . تماماً كما أراد لامبسون . . ويسافر معه رجلان لعبا أدواراً كثيرة فى الأحداث . . أحمد حسنين معلم فاروق وأمينه الأول ورئيس ديوانه فيما بعد ، والفريق عزيز المصرى رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، والرجل الذى حاول أن يهرب إلى

الألمان ، والذى اعتقله الإنجليز . . وعزيز المصرى يضيق بتصرفات فاروق وحسنين فى لندن فيعود غاضباً إلى مصر .

ويرجع فاروق من لندن بعد وفاة أبيه ينتظر حتى يجلس على العرش عندما يبلغ السن القانونية .

* * *

لامبسون يحيط الملك الجديد بعدد من الأشخاص يجمعون عن فاروق كل شىء ، ويبلغون به لامبسون أولا بأول .

. . وأيامها كان فى مصر ٦٠٠ موظف بريطانى ، منهم مائتان فى المناصب الكبيرة . . ولكنهم عيون على الدولة ورجالها . . حتى الملك ! . .

. . يستدعى لامبسون صيدلى فاروق ، وهو رجل بريطانى اسمه ترينجتون ليسأله عن حقيقة الأحوال فى القصر الملكى وتأثير المدة التى عاشها فاروق فى إنجلترا . .

قال ترينجتون :

– علمت من مسز تايلور مربية الملك أن (فاروق) عاد من لندن يهزأ بالأسرة المالكة البريطانية .

إنه يقول عن أدوار الثامن – دوق وندسور ، وكان ملكاً على عرش بريطانيا فى ذلك الحين – إنه لا يجد شيئاً يقوله !

ويقول فاروق عن الدوق كنت – ابن عم الملك – إنه مجرد فتاة !

أما الدوق جلوستر فرأى فاروق أنه لا يساوى شيئاً !

ويطلب فاروق من مسز موراى التى تتولى تدريس الموسيقى لشقيقاته . أن تتوقف عن التدريس .

ويصر فاروق على أن تتوقف مدرسة الرسم البريطانية لشقيقاته . . لأنه لا يريد كل هذا النفوذ الإنجليزى حول شقيقاته .

ويخشى لامبسون أن تكون هذه وقيعة من المربية مسز تايلور ، أو دردشة خدم . . فيرد الصيدلى :

إن مسز تايلور موثوق بها . . خدمت القصر ١٣ سنة . . وهى من عائلة طيبة . . وكانت تعمل فى مستشفى كبير فى لندن قبل حضورها إلى مصر .

ويقول الصيدلى :

– إن مسز تايلور تحزم الآن حقائبها استعداداً للرحيل .

ويفزع لامبسون من أن تكون صورة الأسرة المالكة البريطانية فى رأس فاروق على هذا النحو . . ويخشى من عودة المربين البريطانيين إلى لندن . . ولذلك يسارع بكتابة نص هذا الحديث فى مذكراته ويبعث به إلى لندن . . برقيا !

* * *

«يتسلح» لامبسون بهذه المعلومات قبل أن يجتمع بالملك الذى لم يجلس على العرش بعد . قال لامبسون :

– إنى أعرف ثقل المسئولية عليك فى هذه السن . ولا أريد إحراجك ولكن . . لأن مصير مصر يهم بريطانيا فإنى آمل إذا أحسست بالعبء أو بأية مشكلة . . أن تعتمد علىّ . . إننا أصدقاؤك الأمناء !

وهذا الاستهلال فيه عبارة تدل على الهدف الحقيقى « أن مصير مصر يهم بريطانيا » !

أجاب فاروق :

– إنى أدرك المتاعب والأخطار أمامى . وقد قررت أن أمضى ببطء شديد ، وأن أتحسس موقع أقدامى بحذر :

فيذكره لامبسون بشعار أبيه . . أحمد فؤاد :

– الصبر .

ويبدأ سؤاله بعد ذلك عن مسز تايلور .

ويعترف فاروق أنه مدين لها بالكثير . وليست هناك نية للاستغناء عنها .

ويحاول لامبسون أن يعرف أفكار الملك عن المستقبل ، ولكن (فاروق) يقول إنه لا توجد لديه فكرة عن خططه أو كيفية علاج الأمور .

وبالنسبة لأوصياء العرش يرى فاروق أنه أحسن اختيارهم .

أحدهم هو الأمير محمد على . . ابن عمه .

والثانى عزيز عزت زوج إحدى الأميرات .

والثالث خاله شريف صبرى ،

وبحذر شديد – كما يعترف لامبسون فى برقيته إلى وزارة الخارجية يوم ٩ مايو ١٩٣٦ – ينتهز الفرصة ويطلب إلى فاروق التخلص من الحاشية الإيطالية .

أما تعليق ورأى لامبسون فى هذا الاجتماع الذى استغرق ساعة كاملة فهو :

« فاروق صبى لطيف صريح » .

وفى نفس الوقت يحس غموضاً فى لهجة هذا الصبى الملك – ويتساءل فى مذكراته :

« هل تحمل الرياح شيئاً جديداً » ؟ !

* * *

وتتابع لقاءات لامبسون وفاروق .

ومن الضرورى أن نتابع هذه الاجتماعات حتى نصل إلى قمة الصراع الذى جرى بينهما مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ . . تماما كما يحدث فى الروايات المسرحية .

ومن سوء الحظ أن أحداث الرواية واقعية . . وأن كل الفصول جرت على أرض مصر !

* * *

يريد السفير أن يخرج للصيد فيقدم له الملك عزبة المنصورية ليصيد فيها .

وعندما يشكر السفير الملك ، ينتهز الفرصة – كما تقول الوثائق – ليعطى (فاروق) محاضرة جادة ، لأنه لا يزال يأخذ الأمور بخفة وبساطة . .

ويقول له :

– آمل ألا تضيق بى إذا ألقيت عليك محاضرة قصيرة .

لا أحد يلومك إذا رغبت فى قضاء وقت ممتع . . فى سنك كانت لنا جميعاً نفس المشاعر والرغبات . ولكن يجب أن تذكر أن الوقت قصير ، وأنك ستتولى مسئولياتك .

وهناك من يقول إنك يجب أن تستغل الوقت الباقى أمامك لتحسين عقلك ، والاستعداد للمسئولية . . بدلا من المتعة .

إن السبب الذى يدعونى لذلك هو ما علمته من أنك لم تر الأستاذ فورد – مساعد السكرتير الخاص لملك بريطانيا جورج السادس ، والذى جاء به لامبسون ليكون معلماً لفاروق – إلا مرة واحدة ولخمس دقائق فقط ، وهو ما يعطى تأثيراً سيئاً عنك .

. . فورد لم يشك لى . . ولكنّ هناك إحساساً بذلك فى الخارج . لهذا . . ولمصلحتك أيضاً يجب أن تبدأ العمل .

ما هو سلوك فاروق إزاء هذه المحاضرة؟

الجواب من برقية لامبسون لوزارة الخارجية .

« تلقى الملك كل هذه المحاضرة برشاقة . . وقال إنه تحقق من ذلك . . واعتذر فاروق قائلا :

– بدأت أضع جدولا منظماً للعمل . . وسيجد الناس دائماً ما يدعو للنقد . ولكن – من الآن سأتجنب كل ما من شأنه إثارة المتاعب .

ويؤكد لامبسون للملك :

– إن دار المندوب السامى والحكومة البريطانية تساندانك بحزم ، ولكن يجب أن تثبت أنك تفعل ما هو أفضل لنفسك » .

وفى برقيته لوزارة الخارجية قال لامبسون :

« عندما تقرءون هذه الكلمات سأبدو لكم كمربية للملك . . ولكن الأمر لم يكن كذلك . . أخذ الشاب الصغير المسألة بروح سمحة . . وهو يظهر تعقلا . . وسرعة الفهم . . وهو شاب مناسب » .

* * *

ويجلس فاروق على العرش . . ويلتقى مع لامبسون . . فى إحدى الحفلات :

قال فاروق :

- إن فيروتشى كبير مهندسى القصر . . صديقك القديم .

ويعترض لامبسون ويقاطعة فوراً قائلا :

– إنه ليس صديقى . . ولم تنطق – باسمه – شفتاى قط . . ولم يكن موضوعاً للحديث بينى وبينك . . إنه كلب قذر .

وعقب وصول لامبسون إلى دار السفارة يتصل به سعيد ذو الفقار باشا – كبير الأمناء – قائلا .

– لدى رسالة لك .

ولا يجد السفير ما يقوله سوى :

- احضر حالا .

ويصل كبير الأمناء ليتكلم :

– هناك مسألة شخصية بين الملك وبينك .

– ما هى ؟

– لقد وصفت فيروتشى بأنه كلب قذر . . وهذا التعبير لا يجوز أن يطلق على موظفى القصر .

– لا أذكر ذلك . . ومع هذا فإنى مستعد للقول بأن فيروتشى كلب لطيف . . أو أنه أى نوع آخر من الكلاب يفضله صاحب الجلالة .

ولأن لامبسون يبرق بكل شىء لحكومته فى لندن . . فإنه يبعث بنص هذا الحديث أيضاً ويقول :

– لقد ذكرت للباشا كلاماً كثيراً معناه لا تكونوا أطفالاً !

ومع هذا كله فإن لامبسون يهتم بأن يبرق لحكومته بكل هذا العبث !

. . وأجد هذا أمامى فى مركز الوثائق العامة !

* * *

ولقد حاول محمد محمود باشا عندما كان رئيساً للوزارة أن يبعد فيروتشى بعد تعيينه مباشرة من منصب كبير المهندسين .

. . وبين محمد محمود باشا وبين السفير البريطانى دار هذا الحديث .

قال محمد محمود :

– إن الملك يبدو متشدداً وهو غلام صعب . . لقد قلت للملك إنى وعدتك – أى وعدت السفير – بأن تعيين فيروتشى هو إجراء مؤقت . . وليس تعييناً دائماً .

وقلت . . والحديث مستمر على لسان محمد محمود عما دار بينه وبين الملك !

– لن يكون أمراً محترماً أن يضغط الإنجليز لإخراج هذا الرجل الخطر من منصبه .

وأضاف محمد محمود :

– لقد أثار حسين سرى باشا زوج خالة الملكة فريدة موضوع فيروتشى فى حديث له مع فاروق وقال له :

– إن تعيين فيروتشى يعتبر فضيحة . . فهو سيئ السمعة . وليس أميناً .

وقال محمد محمود إنه نبه الملك إلى أن فيروتشى ذو ماض ملوث كما تقول الإشاعات . . وأنه قواد .

وقد سألنى فاروق :

– قواد لمن ؟

ولكن لم أستطع أن أقول له تلك الكلمة الحاسمة :

قواد لأبيك . . الملك فؤاد !

* * *

. . فى أول الأمر كان السفير يحسن الظن بالملك ، أو يثق فى قدرته على ترويضه ! . . ولكن الصراع يشتد . .

وينتصر لامبسون فى نهاية الأمر . . لأنه – كما أطلق عليه فى لندن – كان آخر الفراعنة . . أو آخر فرعون بريطانى فى مصر .

. . ومعنى ذلك أن كلمة الرجل فى مصر . . لا ترد !